

بقايا قرد-وانسان-وصمغ-خدعت-البشرية-40-عاما



بالتزامن مع وضع شارل داروين لنظرية التطور في حدود منتصف القرن التاسع عشر، كرس المجتمع العلمي ما بين أواخر القرن التاسع عشر (paleoanthropologists) ومطلع القرن العشرين جهوده للبحث عن الحلقة المفقودة التي ستربط بين البشر والقردة حيث عمل علماء مستحاثات البشر وعلماء الآثار جاهدين للعثور على موقع أثري يحتوي على بقايا إنسان بدائي محفوظة بشكل جيد.

والذي كان (Piltdown Man) وأثناء عملية البحث عن هذه الحلقة المفقودة، شهدت الفترة الأولى من القرن العشرين ظهور ما عرف بإنسان بيلتداون عبارة عن خدعة لقيت اهتماما كبيرا من قبل علماء تلك الفترة وأصبحت حديث الجميع بفضل الأخبار التي تناقلتها الصحف قبل أن تكشف حقيقتها بعد نحو 40 عاما.

عثوره على الحلقة التي تربط بين الإنسان والقرد حيث اتصل الأخير بأرثر (Charles Dawson) سنة 1912، أعلن عالم الآثار البريطاني شارل داوسن سميث وودوارد المسؤول بقسم الجيولوجيا بمتحف التاريخ الطبيعي بلندن ليحدثه عن عثوره منذ فترة على بقايا جمجمة رأس غريبة حيث كانت جهة الدماغ بها أصغر بقليل من تلك التي امتلكها الإنسان المعاصر بينما تشابهت جهة الفك والأسنان بفك وأسنان قرد الأورانغوتان الملقب أيضا بإنسان الغاب. وبالتزامن مع ذلك، أعلن داوسن عثوره على هذه القطعة النادرة بمدينة بيلتداون التابعة لمقاطعة شرق ساسكس أثناء أشغال تعبيد أحد الطرقات.

وبتحولهما على عين المكان، عثر كل من شارل داوسن وأرثر سميث وودوارد على مزيد العظام والأدوات القديمة فضلا عن ذلك أعلن المسؤول نسبة إليه ولقيت أيضا Eoanthropus dawsoni بقسم الجيولوجيا البريطاني أن تاريخ الجمجمة الغريبة، التي عثر عليها داوسن والتي سميت باسم بإنسان بيلتداون، يعود لنحو 500000 سنة مضت.

جاء إعلان اكتشاف هذه الجمجمة خلال فترة حساسة تميزت بتنامي العداء بين كل من بريطانيا وألمانيا في مختلف المجالات. ففي حدود سنة 1907، حقق عدد من العلماء الألمان اكتشافا مذهلا عقب كشفهم لجمجمة إنسان هايدلبرغ بجنوب البلاد الذي قيل إنه ينتمي للإنسان والذي استوطن منذ مئات آلاف السنين أوروبا وأجزاء من غرب ووسط آسيا. وعلى حسب الخبراء الألمان، يعود (Neanderthal) البدائي نياندرتال تاريخ ظهور إنسان هايدلبرغ، الذي سمي نسبة لمدينة هايدلبرغ، لنحو 200000 سنة مضت.

بارك عدد هام من كبار شخصيات الجمعية الملكية البريطانية ما توصل إليه شارل داوسن واعتبروه خطوة هامة لتأكيد المراحل السابقة لنظرية التطور وقد جاء هذا التأييد بفعل تنامي الشعور القومي بالأوساط العلمية البريطانية خلال الفترة التي سبقت بداية الحرب العالمية الأولى حيث افتخر الجميع حينها بعثورهم على الحلقة المفقودة التي تربط بين الإنسان والقرد بإنجلترا.

وما بين عامي 1916 و 1953، انتشرت في مختلف أرجاء العالم تقارير كذبت حقيقة إنسان بيلتداون واعتبرته خدعة من وحي شارل داوسن الذي فارق الحياة خلال شهر آب/أغسطس 1916. وفي مقابل ذلك، تجاهلت الجمعية الملكية البريطانية كل هذه التقارير مفضلة الترويج لنظرية ارتباط الإنسان المعاصر بإنسان بيلتداون. لكن بحلول سنة 1953، ذهل الجميع عند قيام عدد من العلماء بنشر تقرير مفصل حول حقيقة إنسان بيلتداون والذي تبين أنه لم يكن سوى مزيج مضبرك من بقايا جمجمة رأس إنسان من العصور الوسطى وفك قرد أورانغوتان ثبتت به أسنان قرد شامبانزي.

ومع كشف حقيقة هذا الوهم الذي عاش على وقعه العالم على مدار 40 سنة، وجهت أصابع الاتهام للعديد من الشخصيات بالتسبب في هذه الخدعة ولعل أبرزهم الراهب اليسوعي والجيولوجي بيير تيلار دي شاردان. في غضون ذلك، شككت الأغلبية في شارل داوسن بالوقوف وراء هذه الخدعة بسبب سجله الحافل في الخداع حيث اتهم الأخير باستخدام معجون لاصق قوي لتركيب هذه القطع مع بعضها.